رسالة التهاون بأحكام الشريعة والحيف والجور في الحكم

مستخرجة من كتاب النصائح
الدرر السنية في الأجوبة النجدية

تأليف العلامة
حمد بن علي بن عتيق رحمه الله
(1227 هـ-1301 هـ)

"المعرض عن تحكيم الشريعة قد اتهم ربه واتهم نبيه بالحيف والظلم والجور"
-الإمام حمد بن عتيق رحمه الله-

اعتنى بها:
علي بن محمد شريقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليّ الحكيم ذي القوّة المتين، الذي خلق وبرأ، وأنعم ورزق وشرع وحكم، وأنزل على عبده الكتاب المبين، قرآناً عربياً وكتاباً مهيماً وحكماً ربّانياً بين عباده المؤمنين.
قال تعالى: (**وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ**) [الرعد: ٣٧]، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد النبي الأمين الفاتح القائل: "**اللَّهُمَّ لكَ أسْلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ خَاصَمْتُ، وبِكَ حَاكَمْتُ**"، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين.
أما بعد فهذه رسالة قيمة قمت باستخراجها من الجزء الرابع عشر **(كتاب النصائح) من الدرر السنية في الأجوبة النجدية** من الصفحة رقم **228** الى **233**.
لكاتبها العلامة الجهبذ الإمام **حمد بن علي بن عتيق النجدي الحنبلي** رحمه الله وهي قصيرة جدا حيث لا تتجاوز ست صفحات فقط اورد فيها تنبيهات مهمة لهذه المسألة.
فالحمد لله الذي وفقني لاستخراجها ونشرها.
اللهم صلي على محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

كتبه : علي بن محمد شريقي الجزائري

وقال الشيخ : حمد بن عتيق ، رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

من حمد بن عتيق ، إلى من بلغه هذا الكتاب من المسلمين ، القريبين والبعيدين ، ألزمهم الله شرائع الدين ، وسلك بهم طريق سيد المرسلين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فالموجب لهذا هو إبلاغكم ، والخوف علينا وعليكم ، إعذاراً وإنذاراً ، فإنه قد حدث فيكم أمور منكرة ، لا يحل لذي علم السكوت عليها ، ولا أقول إنها في رعية دون رعية ، ههنا أمر أكثركم به مقرون ، وعليه مصرون ، وهو التهاون بأحكام الشريعة ، وهذه خصلة منافية للإيمان بالرسول ﷺ ، فلا بد من تحكيمه ، والانقياد لحكمه ، والإذعان والتسليم.

وقد قال تعالى : (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون) فبين : أن المعرض عن التحاكم إلى الرسول ، ليس من أهل الإيمان ، ثم قال : (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ، أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون) [النور : ٤٧ ــ ٥٠].

وهذه حال كثير من الناس ، فإنه إذا علم أن الحق له ، أقبل إلى حكم الله ورسوله مذعناً ، وأما إذا كان الحق مطلوباً منه متوجهاً عليه ، امتنع ونوّع المعاذير وأكثرها.

وقد بين الله : أن هذا من العلامات على مرض القلوب ، وعلى الريب في الدين ، وهو الشك ، وأن صاحبه قد اتهم ربه واتهم نبيه بالحيف ، فلذلك أخبر : أن هذا الصنف هم الظالمون ، فعظم ظلمهم بضمير الفصل ، وأداة التعريف.

وقال تعالى : (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) [النساء : ٦١] فبين : أن من صدّ عمن دعاه إلى التحاكم إلى شريعة الإسلام ، فهو من المنافقين.

وقال تعالى : (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) [المائدة : ١٠٤] فبين : أن الامتناع عن التحاكم ، وإلى ما بعث الله به رسوله ، من طاعة الشيطان ، ومن الموجبات لعذاب السعير.

وقال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) [النساء : ٦٥] فأقسم بنفسه : أن الناس لا يؤمنون حتى يحكموا رسول الله ، في جميع ما تنازعوا فيه ، من دقيق وجليل ، فإذا لم يحكموه فليسوا بمؤمنين.

والأدلة في هذا كثيرة ، وكلها تبين أن الإيمان لا يحصل مع عدم تحكيم الرسول ، ثم الانقياد لحكمه والرضا والتسليم ؛ ومن أكبر البلايا وأعظم الرزايا : أن يكون الإنسان قد أرتكب هذه القواصم ، وخرج من دائرة الإيمان ، وصار من أهل الفسوق والعصيان ، وهو مع ذلك يدعي أنه من المؤمنين.

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة   وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

ومن الأمور المنكرة العظام : ما وقع فيه قادة أهل الإسلام ، من الحيف والجور ، وعدم القيام بالقسط بين القوي والضعيف ، والعدو والصديق ، والقريب والبعيد ، وهذا عكس ما أمر الله به حيث يقول : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما) الآية [النساء : ١٣٥].

فأمر تعالى بالقيام بالقسط وهو العدل ، وبالشهادة لله ولو على نفس الإنسان ، ووالديه الذين هم أكبر الناس نعمة عليه.

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألاّ تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى) [المائدة : ٨] فأمر تعالى بالقيام له ، وبالشهادة بالقسط ، ثم نهى أهل الإيمان أن يحملهم بغض من أبغضوه ، على ترك العدل فيه.

فأوجب : أن يكون عدلهم فيمن أبغضوه ، نظير عدلهم فيمن أحبوه ، وهذا هو الواجب على عامة الخلق ، وهو العدل بين الناس ، وعدم الميل مع الصديق والرفيق والقوي ، بخلاف ما عليه أكثر الناس.

فإنه إذا توجه الحق على رفيق لهم ، أو صاحب مال أو جاه تركوه ، وارتكبوا نوعاً من المعاذير ، فهذا يقول : رفاقتي ما أقوم عليهم ، وهذا يقول ما أقطع يدي من صديقي لأجل فلان ، وهذا يقول أخاف إذا قمت عليه يغلبني عند الولاة ، وهذا خائف على موقفه ورياسته.

وهذا كله من السبل التي قال الله فيها : ﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] فالواجب على من تولى شيئاً من أمور المسلمين : أن يخاف الله فيهم ، ويجعلهم في الحق سواء ، فيقوم في الحق لعدوه ، كقيامه لصديقه ، ويجعل الضعفاء كالأقوياء ، والفقراء كالأغنياء ، والجيران كالرفاقة كما هي سيرة المؤمنين الصالحين الموفقين ، لا ما عليه الظلمة من الخائنين والمفسدين الجائرين.

وقد قال تعالى : ﴿ يا دواد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [ص : ٢٦].

وفي السنن : عن النبي ﷺ « القضاة ثلاثة ، قاضيان في

النار ، وقاض في الجنة ، فرجل علم الحق فقضى بخلافه فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة ».

وقال شيخ الإسلام : والقاضي اسم لكل من قضى بين اثنين وحكم بينهم ، سواء سمى خليفة أو سلطاناً أو نائباً أو والياً ، حتى من يحكم بين الصبيان إذا تخايروا في الخطوط ، هكذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ ، وهو ظاهر ، انتهى.

ومراده : أن الصبيان إذا تكاتبوا في ألواحهم ليظهر أيهم أحسن كتابة ، ثم عرضوا عليك خطوطهم ، لتحكم بينهم بإخبارك : أيّ الخطوط أحسن ؟ فقد جعلوك قاضياً لهم ، وحاكماً بينهم في هذه المسألة ، فيجب عليك العدل والانصاف ، فمن حاف وترك العدل ، فقد دخل في مسمى القاضي المذموم ، المتوعد بالنار ، كما أن من عدل وأنصف ، له نصيب من الوعد المرتب على ذلك.

وكثير من يعتريه ذلك ، هم قادة الناس ، من القضاة والأمراء والعرفاء ، فعليهم جميعاً مراعاة هذا الأمر ، وعدم الغفلة ، والله تعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) [الحشر : ١٨ ، ١٩].

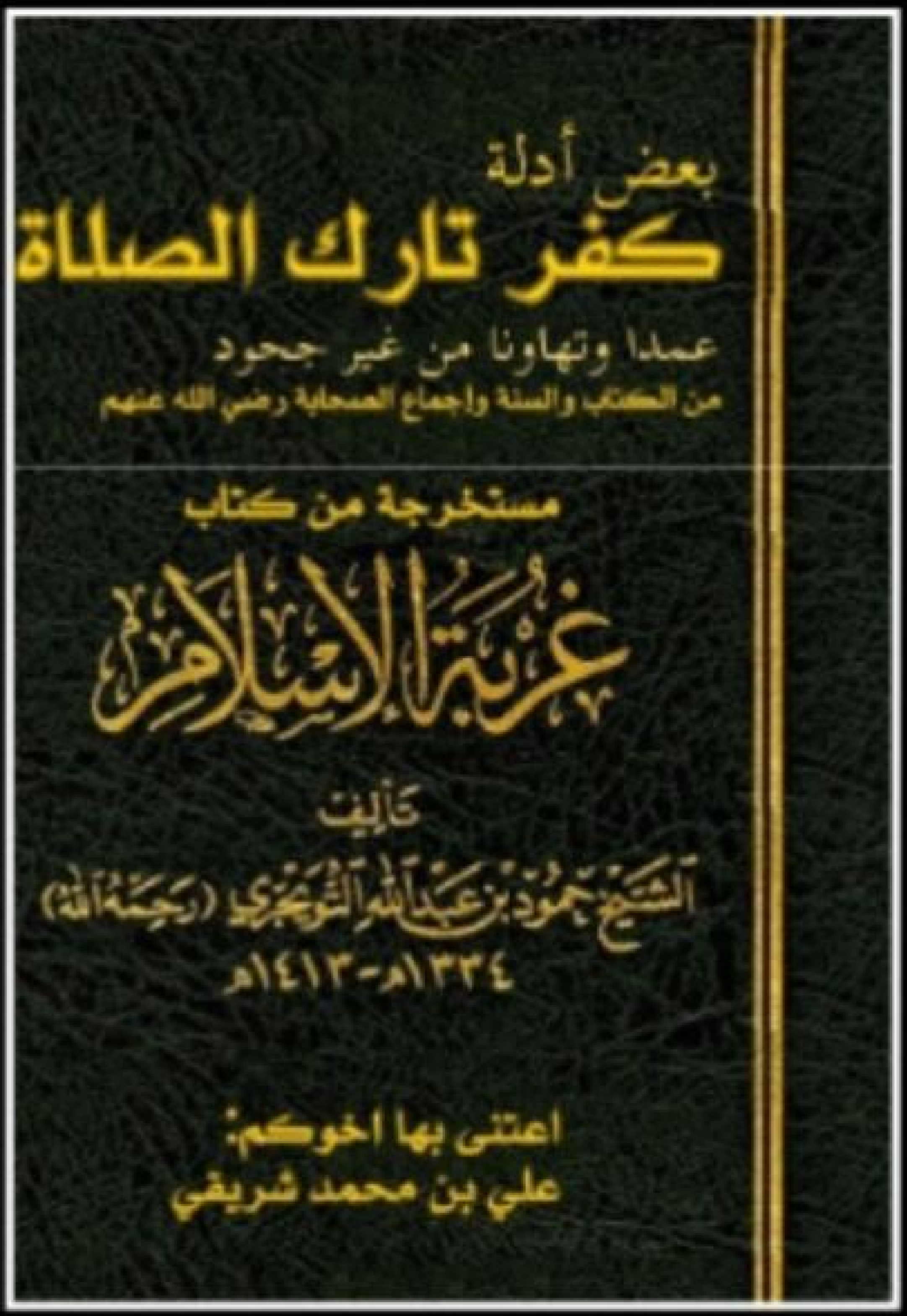
نسأل الله لنا ولكم العافية على مراضيه ، وأن يجعلنا ممن يخافه ويتقيه ، وأن يجعلنا ممن أمن الفزع الأكبر يوم يلاقيه ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله

اخوكم : علي بن محمد شريقي

مدينة بلعباس - الجزائر.

صدر لنا من قبل:









سلسلة الرسائل والمستخرجات القصيرة